

عائد من الظلام

بقلم / أحلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلٌ لواحدة من جرائم الصليب



عائد من الظلام!

- الحلقة الثالثة -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

عائد من الظلام!

- الحلقة الثالثة -

#بقلم: #أحلام-النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة-مؤسسة-أوار-الحق



(٥)

عندما تكون في وسطٍ يطالبُكُ أهلهُ بأمرٍ ما، بيدَ أن صوتًا أو لنقل: إنه "شيء" قابِعٌ في وسطِ أعماقك، ربما لم يرتقِ لدرجة أن يكون صوتًا، المهم أنه يأبى عليك التنفيذ، وإذا ما أدركَ حيرتك بين الوسطين، واستسلامك المسالم لتنفيذ رغبة الوسط الخارجي: ثار عليك الوسطُ في أعماقك وأزعجك، أو حتى عطلَّ أعصابك فهوى جسدك كالخرقة البالية أرضًا..

تستيقظ.. فقط لتعاودَ المعاناة ذاتها، والتي تستمتع بقهرك بينما أنت متبرِّم بها، وتكون أمام اتهاماتٍ لا تعرف مدى جدارتك بها واستحقاقك لها، وتلزمك تبريراتٌ لا تملكها، وينتظر الذين حولك إجاباتٍ أنت أحوج منهم إليها!

هنا.. في هذه الدوامة المكتظة بالاستفهامات، وفي زحمة أمواج الحيرة الخالوية والهاجئة في آن واحد: كيف ستتصرف؟! وأيَّ وسط ستلي؟! وقبل كل شيء: هل فعلاً أنت تستطيع أن تختار إرضاءَ وسطٍ دون أن تُغضبَ الآخر وتعرضَ نفسك لمُغَبَّةٍ معارضة؟!!

"مادو" أيها المسكين! إلى كم يمكنك الاحتمال بعد؟! متى ستفهم ما يحدث وتدرِك أسبابه؟! ما الحل الجذري لهذه العضلة؟!!

(٦)

كان "إدوارد" و"جون" واقفين أمام الفتى النائم، بعد أن أفزعهما هذيانه الذي اختفى فجأة، فأثرا عدم الحراك عساها تكون إشارة لاقتراب استيقاظه.

أما هو؛ فكان تارة يبدو كأى نائم بريء آخر، وتارة أخرى يتشنج في ألم؛ كأنما يخضع حيناً ويقاوم حيناً آخر، والاثنان ينتظران في صبرٍ أجبراً عليه تنفيذاً لأوامر القساوسة الصارمة، وينتظران الخلاص انتظارَ السجين.

سواد مدلهم، نور مفاجئ يبدده، امرأة متشحة بالسواد، دامعة العينين، تصرخ بلا صوت يسمعه، تلوح بيديها دون أن يفهم شيئاً!

ترى.. ماذا تحاول أن تقول؟!

ولماذا تريد الكلام معه هو بالذات؟!

لكن.. لحظة! ما هذا؟ إنها تتأوه، بل وتقع أرضاً، في الواقع؛ إنه تصرف طبيعي جداً بالنسبة لشخص يتلقى ضربةً على ساقه! ومن الواضح أن ساقها اليسرى قد تأذت كثيراً من الضربة، لكن.. من الذي ضربها؟! ولماذا؟! وقبل كل شيء: ما علاقته هو "مادو" بكل ذلك؟!!

وشهق "مادو" بشدة، ثم نهض فزعاً، غارقاً في العرق البارد، فضحك "برناردو" ساخرًا وقال:

- إنني أحسدك على كل هذا الشعور بالدفء رغم برودة الجو!

نظر إليه "مادو" بعينه الخاويتين وهو ما يزال يلهث، عاجزاً عن ملمة شعث تفكيره، محاولاً الفصل بين الواقع والحلم الغريب الذي رآه، كما أن من نافلة القول: الإشارة إلى أنه لا يشعر بشيء من الدفء!

ولم يكن "برناردو" ينتظر إجابة على أية حال، بل التفت إلى أحد الشباب الجالسين، وقال بنفس اللهجة التهمكية:

- بلّغوا "ألبرت" أن الخنفسة السوداء الكسول استيقظت أخيراً.

وما كاد "ألبرت" يخبر القس "مارك" بهذا؛ حتى اندفع الأخير ومعه "ألفرد" مسرعين لفهم ما يجري ومدى أبعاده ثم تأثيراته لاحقاً على أهدافهما؛ التي تتقاطع في زوايا، وتتفصل في أخرى، ووصلا وأمرًا للجميع بإخلاء الغرفة، إلا أن ما سمعاه من "مادو" صدمهما وتركهما ذاهلين، وبدا "مارك" أقرب إلى عالم الأموات بشحوبه والهستيريا التي صارت تلازمه ملازمة الظل!

ولكن "ألفرد" "مارك" في كتفه لينبهه، فاستعاد هذا مظهره المتغطرس كيفما اتفق، وغمغم لـ "مادو" بأنه سيعود ثانية، ومضى مع "ألفرد" ليناقشا الأمر.

(٧)

- ياه!

تلك المرأة ثانية!! بعد كل هذه السنوات!! الساق اليسرى بالضبط!! ذاكرة جيدة!!

زجر "مارك" بغضب عارم:

- هل أنت هنا لتبدي إعجابك بذاكرتها الجيدة؟!!

رد "ألفرد" ساخراً متخصّراً:

- بل لأنّبهك إلى احتمال تعافي ذاكرة "مادو" المشوشة يا غبي!!

أخفى "مارك" وجهه بيديه في حزن عظيم، وراح يتمم كأنه يكلم نفسه:

- لماذا يا "مادو"؟! لماذا الآن بعد كل هذا الوقت؟! لم يكن أحد مثلي متحمساً للتدرب على الامتحان الأخير، ولا أشدّ شوقاً وتطلّعاً إلى ميعاده، كنت أفضل الأشياء الخاصة دائماً، والآن..

وكور قبضتيه كأنما يريد تهشيم رأسه، وتابع بغیظ:

- الآن صرتُ بسببك أكره كل شيء!!!

كان "ألفرد" يتابع كلام "مارك" بسخرية وشماتة، دون أن تحيد عيناه الثلجيتان عنه، وهتف "مارك" بلوعة:
- إنني أفقده يا "ألفرد"!!

راقب "ألفرد" انهيار "مارك" باستمتاع، وبعض الذكريات تومض في عقله العجوز:
- هه! انظريا "ألفرد"! شيئي الخاص الجديد تفوق على أشياءك كلها في الحفظ! أيها الفاشل!

وشمخ "مارك" بغرور متابعًا:
- بفضل عبقريتي وتربيتي؛ سيكون لـ "مادو" شأن كبير، وهذا سيجعلني أفوز عليك في الترقية يا عزيزي المسكين "ألفرد"!

ويشتد غيظ "ألفرد"، ويدمدم ساخطًا:
- لا تستعجل أيها المتفائل! فما تزال أمامنا أشواط كثيرة، ومن يضحك أخيرًا سيضحك كثيرًا.

- إنني أضحك من الآن يا "ألفرد"! إذ من الواضح لمن سيكون المنصب الجديد!

تمالك "ألفرد" نفسه رغم شدة ما يشعر به من الغيظ، وهمس من بين أسنانه:
- سنرى أيها المغرور!

وأفاق "ألفرد" من ذكرياته على صوت "مارك" يقول متوسلاً:
- هذا جحيم حقيقي!! إنني أكتف التدريبات عليه، كل يوم أعرضه لمحاولتين على الأقل، ولكن حاله تزداد سوءاً!

قال "ألفرد" بملل:
- كفك ندباً كالثكالي! ثم إن هذه التدريبات تزيده سوءاً! هو ليس مستعداً حتى لسحق ذبابة من أجلك!

رفع "مارك" رأسه إلى "ألفرد"، ونظر إليه مستنجداً، وهمس بصوت مبحوح:
- والحل؟!

قال "ألفرد" ببرود:
- أظن أنني طرحته سابقاً يا "مارك"!

وولاه ظهره ليغادر، وقال خلال سيره البطيء نحو الباب:

- بإمكانك أن تفكر فيه جيداً قبيل زيارة المسؤول.

اتسعت حدقتا "مارك"، وسأل بخوف وحذر:

- المسؤول! عن أي مسؤول تتحدث يا "ألفرد"!!؟

ابتسم "ألفرد" بجنث، والتفت إلى "مارك" بنصف وجهه، وقال باستمتاع:

- المسؤول الذي طلبتُ من الكنيسة إرساله إلى المعسكر في الأسبوع القادم؛
للاطلاع على تدرّياتنا لامتحان الكبير!

كان "مارك" جاحظاً مصدوماً، تهوي أمام عيني آماله كلُّ المناصب التي يحلم بها،
متزامنة مع هبوط قلبه نحو قدميه، وازدرد ريقه بصعوبة، وقال بصوت متقطع:

- "ألفرد"! أنت.. لم..

استدار "ألفرد" بشكل كامل هذه المرة، وقاطع "مارك" بسرعة مُشيحاً يده:

- لا أنا لم أقل حرفاً عن انقلاب صرصارك الفاشل على ظهره في كل تمرين!

وتابع بجنث مبتسماً:

- سيرى المسؤول بنفسه كل شيء!

قال "مارك" وهو غير مصدق لما يسمع:

- لماذا صنعتَ بي هذا يا "ألفرد"؟!

اكتسى وجه "ألفرد" بالحق والشر، وقال بقسوة:

- هي كلمة واحدة يا "مارك"! تنازل لي عن "مادو"!!

وانصرف صافقاً الباب خلفه، بينما انهار "مارك" صارخاً باكياً، ويداه تبعثران ما
تصلان إليه من أوراق وأغراض:

- يا لك من وغد حقير يا "ألفرد"! تباً لكم جميعاً!!

ما كان "ألفرد" ليجد من هو في حفظ "مادو" وتفوقه النظري، وكان يرى نفسه
أحقّ به من "مارك" الذي يعتبره فاشلاً؛ فأشياؤه الخاصة باتت تتسلى بالقتل، بينما
يفشل أنجب تلميذ في أهم امتحان، إضافة إلى أن "مارك" هو منافسه اللدود؛ فلا
غرو البتة في أن يسعى "ألفرد" إلى تحطيمه وإزاحته عن طريقه!

انتهت الحلقة الثالثة

...يتبع

